

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزَّلْزَلَةُ: 7 - 8)

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِأَقْبَلَهُمَا:

بعد إثبات
البعث والجزاء،
يتفرّع التّرهيب
والتّرهيب من
يوم اللّقاء

بعد أن ذكر الله تعالى صدور الناس من قبورهم مُتَفَرِّقِينَ لِيُروا أعمالهم والجزاء على أفعالهم؛ ناسب أن يُفَرِّعَ على ذينك التّرهيب والتّرهيب بعد الفراغ من إثبات البعث والجزاء⁽¹⁾، فسبّب عن ذلك قوله مُفَصَّلًا الجملة التي قبله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽²⁾.

✽ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مِثْقَالٌ﴾: (ثقل) أصل واحدٌ، وهو ضدُّ الخِفَّةِ، ولذلك سُمِّيَ الجنُّ والإنسُ الثَّقَلَيْنِ؛ لكثرة العدد، ويُقال: ارتحل القومُ بثقلتهم؛ أي: بامتعتهم⁽³⁾، والثقل: واحد الأثقال، مثل: حمل وأحمال، ويُقال: أعطيه ثقله؛ أي: وزنه⁽⁴⁾، والمِثْقَالُ: وزنه درهمٌ وثلاثة أسباعِ درهم، ومِثْقَالُ الشَّيْءِ: ميزانه من مثله⁽⁵⁾، والمِثْقَال - ك (مِفْتَاح) - صيغة للآلة؛ أي: ما يتقل به الشَّيْءُ، ومعنى الآلة في الأفعال اللازمة يرجع إلى خصوصية أو صفة في نفس الشَّيْءِ، والمراد به في الآية: الوزن الذي تُقدَّر به الأشياءُ المنتهية في الصَّغر⁽⁶⁾.

(2) ﴿ذَرَّةٌ﴾: (ذر) أصل واحدٌ يدلُّ على لطافة وانتشار، ومن ذلك الذُّرُّ؛ وهو صِغارُ النَّمْلِ، الواحدة: ذرَّةٌ⁽⁷⁾، والذُّرُّ: النِّسلُ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 494 / 30.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 207 / 22.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثقل).

(4) الجوهري، الصحاح: (ثقل).

(5) الفيومي، للمصباح للنير: (ثقل).

(6) للصطوفي، التحقيق في كلمات القرآن: 18 / 2.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذر).

وَالذَّرِّيَّة: الصَّغَار. وَتَكُونُ الذَّرِّيَّةُ وَاحِدًا وَجَمْعًا⁽¹⁾. وَذَرَّ الشَّيْءَ يَذُرُّهُ: أَخَذَهُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ ثُمَّ نَثَرَهُ عَلَى الشَّيْءِ، قَالَ ثَعْلَبٌ: إِنَّ مِائَةَ مِنْهَا وَزَنُ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ. وَقِيلَ: الذَّرَّةُ لَيْسَ لَهَا وَزَنٌ، وَيَرَادُ بِهَا مَا يُرَى فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ الدَّاخِلِ فِي النَّافِذَةِ⁽²⁾، وَأَصْلُ الذَّرَّةِ: فَعْلَةٌ، مُصَدَّرٌ لِلْمَرَّةِ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي مَا يُنْشَرُ؛ أَي: فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْهَوَاءِ، وَهَذَا الْإِطْلَاقُ لِلْمُبَالَغَةِ. وَهَذِهِ الْوَاحِدَةُ مِنْ مَصَادِقِ الذَّرِّ الْمُتَحَقِّقَةِ فِي الْخَارِجِ⁽³⁾، وَالْمَرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ: الْمُتَنَاهِي فِي الصَّغَرِ وَلَوْ كَانَ جُزْءًا مُتَطَايِرًا بِالْهَوَاءِ فَإِنَّهُ يَوْزَنُ وَلَا يَضِيعُ ثَقْلُهُ؛ كُنَايَةً عَنْ دَقَّةِ الْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ.

(3) ﴿يَرَوْهُ﴾: (رَأَى) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَظَرٍ وَإِبْصَارٍ بَعَيْنٍ أَوْ بَصِيرَةٍ⁽⁴⁾، وَرَأَيْتُ الشَّيْءَ رُؤْيَةً: أَبْصَرْتُهُ بِحَاسَةِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُ: الرِّيَاءُ؛ وَهُوَ إِظْهَارُ الْعَمَلِ لِلنَّاسِ لِيَرَوْهُ، وَرُؤْيَةُ الْعَيْنِ: مُعَايَنَتُهَا لِلشَّيْءِ، وَيُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى: (الْعِلْمُ وَالظَّنُّ، فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَرَأَيْتُ زَيْدًا: أَبْصَرْتُهُ، يَتَعَدَّى إِلَى وَاحِدٍ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَفْعَالِ الْحَوَاسِّ⁽⁵⁾، قَالَ اللَّيْثُ: الرَّأْيُ رَأْيُ الْقَلْبِ، وَالْجَمْعُ: الْأَرَاءُ⁽⁶⁾؛ فَهُوَ النَّظَرُ الْمَطْلُوقُ بَأَيَّةٍ وَسِيلَةٍ كَانَتْ، بِالْعَيْنِ الْبَاصِرَةِ، أَوْ بِقَلْبٍ بَصِيرٍ⁽⁷⁾، وَالْمَرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ: الرُّؤْيَةُ الْبَصَرِيَّةُ أَوِ الْعِلْمِيَّةُ.

❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

تفصيل للرَّائِينَ وَمَا يَرَوْنَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَالْمَعْنَى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ خَيْرًا أَوْ شَرًّا يَرِ جَزَاءَ عَمَلِهِ يَوْمَ

الدُّنْيَا عَمَلٌ بِلَا
جَزَاءٍ وَالْآخِرَةُ
جَزَاءٌ بِلَا عَمَلٍ

(1) الْفَيْوَمِيُّ، الْمَبْصَحُ النَّبَرِ: (ذَرَّ).

(2) ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (ذَرَّ).

(3) الْمَصْطَفَوِيُّ، التَّحْقِيقُ فِي كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ: 3 / 290 - 293.

(4) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ: (رَأَى).

(5) الْفَيْوَمِيُّ، الْمَبْصَحُ النَّبَرِ: (رَأَى).

(6) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ: (رَأَى).

(7) الْمَصْطَفَوِيُّ، التَّحْقِيقُ فِي كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ: 4 / 12 - 14.

الحِساب، ولو كَانَ ما عَمِلَه يُعَادِلُ فِي القَلَّةِ وزنَ ذَرَّةٍ؛ أي: أَقلُّ شيءٍ يَعْرِفُونَهُ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَرى حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُثَبِّتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكافر فَيَرى كَذَلِكَ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَسَنَاتِهِ، وَيُعَذِّبُهُ بِسَيِّئَاتِهِ⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

وجهُ العطفِ بـ (الفاء):

التفريع
والتفصيل،
للرأين العمل
الكثير والقليل

عطفَ النَّظْمِ الكريمِ بـ (الفاءِ) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ على ما قبله؛ للدلالة على التّعقيب والتفريع عن (الواو) مع التفصيل لها⁽²⁾ في قوله: ﴿لَيَرَوْا﴾؛ ببيان أن بعضَ الرّائين يَرَوْنَ الخيرَ عندَ عَمَلِهِمْ لَهُ ولو قليلاً، وبعضهم الآخر يَرَوْنَ الشرَّ عندَ عَمَلِهِمْ لَهُ ولو قليلاً، والذي يُفهم من كلام ابنِ عاشور أنها للاستئناف؛ لقوله: "تَفْرِيعٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لَيَرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ تَفْرِيعُ الْفَذْلَكَةِ؛ انْتِقَالًا لِلتَّرغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ إِثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَالتَّفْرِيعُ قَاضٍ بِأَنَّ هَذَا يَكُونُ عِقَبَ مَا يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا"⁽³⁾، ورأى البقاعي أنها متسببة ودالة على تفصيل الجملة التي قبلها⁽⁴⁾، فـ: "الفاء في ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ﴾ تفصيلية؛ لأنَّ هذا تفصيلٌ لرؤية جميع أعمالهم صغيرة أو كبيرة؛ لأنه بمنطوقه يدلُّ على رؤية العمل الصغير، وبدلالة النصِّ يدلُّ على رؤية العمل الكبير؛ أي: جزائه"⁽⁵⁾.

وجه استعمال اسم الشرط (من):

رؤية الأعمال
متحققة بكل من
يحضر الحشر
والسؤال

عبر النَّظْمِ الكريمِ بـ (من) الشرطيَّة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾؛ للدلالة على العموم والشمول مع تعليق رؤية الخير

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10 / 1991.

(2) الهرقي، حقائق الروح والزحان: 32 / 238.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 495.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 22 / 208.

(5) القنوي، حاشية على تفسير البضاوي: 20 / 395.

بِعَمَلِهِ وَلَوْ قَلِيلًا جَدًّا، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْعَمُومِ كُلُّ مَنْ يَصْدُرُ مِنَ النَّاسِ لِرُؤْيِيَةِ جَزَاءِ عَمَلِهِ، سَوَاءً أَكَانَ مُؤْمِنًا أَمْ كَافِرًا، قَالَ الْبِقَاعِيُّ: «فَمَنْ يَعْمَلُ» مِنْ مُحْسِنٍ أَوْ مُسِيءٍ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ⁽¹⁾، وَرَوَى عَنْ "ابن عباس: لَيْسَ مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ عَمَلٌ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا، إِلَّا أَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ؛ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَتُغْفَرُ لَهُ سَيِّئَاتُهُ وَيُثَبِّتُ بِحَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتُرَدُّ حَسَنَاتُهُ وَيُعَذَّبُ بِسَيِّئَاتِهِ. وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ يُسَاعِدُهُ النَّظْمُ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ «فَمَنْ يَعْمَلُ» تَفْصِيلٌ لِمَا عَقَّبَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ: «يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ» فَيَجِبُ التَّوَافُقُ، وَ(الْأَعْمَالُ): جَمْعٌ مُضَافٌ يَفِيدُ الشُّمُولَ وَالِاسْتِغْرَاقَ، وَ«يَصْدُرُ النَّاسُ» مُقَيَّدٌ بِقَوْلِهِ: «أَشْتَاتًا»، فَيَفِيدُ أَنَّهُمْ عَلَى طَرَائِقَ شَتَّى لِلنُّزُولِ فِي مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ الْمُخْتَلِفَةِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَتِ الْجَنَّةُ ذَاتَ دَرَجَاتٍ، وَالنَّارُ ذَاتَ دَرَكَاتٍ⁽²⁾.

نَكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِفَعْلِ (الْعَمَلِ) مَادَّةً وَصِغَةً:

عَبَّرَ الْبَيَّانُ الْقُرْآنِيُّ بِفَعْلِ (الْعَمَلِ) مُضَارِعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا»: لِلدَّلَالَةِ عَلَى صُدُورِ الْعَمَلِ مِنْ أَيِّ عَامِلٍ عَلَى سَبِيلِ التَّجَدُّدِ الْاسْتِمْرَارِيِّ؛ إِذِ الْأَعْمَالُ مُتَوَالِيَةٌ وَمُتَتَابِعَةٌ. لَكِنْ فِي التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ دَلَالَةُ حِكَايَةِ الْحَالِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ الصُّدُورِ يَكُونُونَ قَدْ عَمِلُوا وَانْتَهَى الْعَمَلُ، وَلِذَا فَإِنَّ النَّظْمَ عَدَلَ عَنِ الْمَاضِي إِلَى الْمُضَارِعِ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ وَكَأَنَّهَا تَقَعُ الْآنَ. وَالْغَرَضُ مِنَ الْعُدُولِ تَحْقِيقُ مَزِيدٍ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ لِلْمُخَاطَبِينَ حَتَّى يَنْتَبِهُوا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ. وَاخْتَارَ النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ مَادَّةَ الْعَمَلِ دُونَ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّهُ صَادِرٌ مِنَ الْعَاقِلِ الْمُخَاطَبِ بِالتَّكْلِيفِ، وَنَلْمُجٌ مِنَ التَّعْبِيرِ بِالْعَمَلِ إِلَى أَنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ تَكْلِيفٍ، وَمِنْهُ تَكْلِيفُ الْإِيمَانِ

التَّارْغِيبُ
وَالْتَّارْهِيْبُ
بِتَحْقِيقِ الْأَعْمَالِ
فِي الْحَالِ الْقَرِيبِ

(1) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدُّرَرِ: 22 / 208.

(2) الطَّبْيِيُّ، فَتُوْحُ الْغَيْبِ: 16 / 544.

والاعتقاد؛ فإنه عمل القلب، ففيه إشارة إلى أنه من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان انتفع بها ونجا من عذاب الخلود، أو خفف عنه من عذاب النار.

دلالة الكناية في إضافة «مِثْقَالِ ذَرَّةٍ»:

أُضِيفَ لفظُ «مِثْقَالٍ» إلى «ذَرَّةٍ» في قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا»؛ للدلالة على تخصيص المِثْقَالِ - الذي يُعَبَّرُ عنه للدلالة على المقدار⁽¹⁾ - بالذرة التي يُعَبَّرُ بها عن المقدَرِ الموزون، ودلت الإضافة على أن أي عمل مهما كان صغيرًا فإنه مسجلٌ، فالتركيب الإضافي كناية عن مُنتهى الصَّغَرِ والقِلَّةِ في الأعمال، ولذا قال ابنُ عاشور: "ومِثْقَالُ ذَرَّةٍ مَثَلٌ فِي أَقْلِ الْقَلَّةِ"⁽²⁾؛ إذ بعض الأشياء غير قابلة للوزن لصغرها الشديد، وأكثر شيء يتناهى في الصَّغَرِ هي الذرة، ومع ذلك فإن من عمل عملًا بمقدار الذرة توزن ويرى جزاءها عند الله تعالى، دلالة على كمال العدل الإلهي، وعِظَةٌ لكل عامل بما سيراه من جزاءٍ وثواب.

سرُّ التَّنْكِيرِ في «ذَرَّةٍ»:

عَبَّرَ النُّظْمُ الكريم عن المقدم من الأعمال بلفظِ «ذَرَّةٍ» منكرة في قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ»؛ للدلالة على التَّحْقِيرِ والتَّقْلِيلِ والتَّصْغِيرِ؛ فيتوافق دلالة تنكيرها مع مضمونها الدالُّ على النَّمَلَةِ الصَّغِيرَةِ في ابتداء حياتها⁽³⁾ أو رأسها، أو ما يُرى من الهباء في ضوء الشمس. وفي ذلك تحريض على العمل الصالح مهما كان قليلًا وتنفير من العمل السيِّء مهما كان صغيرًا.

نكتة التعبير بالتمييز «خَيْرًا»:

جاءَ التَّعْبِيرُ بالتمييزِ «خَيْرًا» في قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ

تخصيص المقدار
بالقليل دالٌّ على
كمال العَدْلِ
الجليل

التَّحْرِيزُ على
الصَّالِحَاتِ
والتَّنْفِيرُ من
السَّيِّئَاتِ

التَّشْوِيقُ بِذِكْرِ
الإِبْهَامِ ثُمَّ
تَفْسِيرُهُ بِالْكَلَامِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 495/30.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 495/30.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 495/30.

ذَرَّةٌ خَيْرًا؛ للدلالة على رفع الإبهام عن الذاتِ الموزونة المقدَّرة بالمثلث؛ إذ التعبير بـ **«مِثْقَالِ ذَرَّةٍ»** أضفى إجمالاً مشوقاً للسامع حتَّى يَعْرِفَ بيانه وتوضيحه، فلمَّا أتى التَّمييزُ حصلَ التَّعينُ لذلك العملِ الموزونِ المتناهي في الصَّغرِ والقلَّةِ.

سرُّ التعبيرِ بالفعلِ **«يَرَهُ»** دلالةٌ وصيغةٌ:

عَبَّرَ النَّظْمُ القرآنيُّ بفعلِ (الرُّؤية) مُضارعاً جواباً للشرط مجزوماً بحذفِ حرفِ العلةِ في قوله تعالى: **«فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ»**؛ للدلالة على حصولِ الرُّؤيةِ جزاءً لأعمالِهِ المقدَّمة، ولو كانت بمُنتهى الصَّغرِ على سبيلِ التَّجَدُّدِ الاستمراريِّ. وفيه عدولٌ أيضاً عن الماضي إلى حكايةِ الحال؛ للدلالة على استحضارِ صورةِ رُؤيةِ جزاءِ تلك الأعمالِ الدَّقِيقَةِ، وأنها مسجَّلةٌ على الرُّعْمِ من دَقَّتِها وصَغَرُها، ولها جزاءٌ وثوابٌ أو تخفيفٌ من عذابٍ. وفي حذفِ حرفِ العلةِ واقتطاعِ جزءٍ من اللفظِ صِغَرٌ يتوافقُ مع التَّصْغِيرِ للعملِ؛ إذ تكونُ الرُّؤيةُ بمثابةِ اللَّحْمَةِ لذلك العملِ المتناهي في الصَّغرِ. كما أنَّ التعبيرِ بفعلِ الرُّؤيةِ يُرَجِّحُ الرُّؤيةَ البصريَّةَ دونَ العِلْمِيَّةِ؛ إذ يَرى وَيُبْصِرُ جزاءً أعمالِهِ. ولَمَّا كان هذا تفرُّيعاً وتفصيلاً للواوِ في **«لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ»**؛ فإنَّ تلكَ الإراءة تكونُ بصريةً أيضاً، وقال النقَّاش: ليستْ برُّؤيةٍ بَصَرٍ، وإنما المعنى: يُصِيبُهُ وينالُهُ⁽¹⁾، فيكونُ مجازاً مُرسلاً أو استعارةً تَبْعِيَّةً.

دلالةُ الكِنَايةِ في **«يَرَهُ»**:

كَنَّى النَّظْمُ الكريمُ بفعلِ الرُّؤيةِ في قوله تعالى: **«خَيْرًا يَرَهُ»** للدلالة على الفرحِ والسُّرورِ⁽²⁾؛ إذ يلزَمُ من رؤيةِ عملِ الخيرِ ولو كان قليلاً حصولُ ذلك الأمرِ؛ فالغرضُ من الرُّؤيةِ لعملِ الخيرِ والجزاءِ

الأعمالُ المتناهية
في الصَّغرِ يُرى
جزاؤها بجَلِي
النَّظَرِ

رُؤْيَةُ الْعَمَلِ
الصَّالِحِ، كِنَايَةٌ
عَنْ حُصُولِ
الْفَرَحِ الصَّادِقِ

(1) الهري، حقائق الرُّوح والزيَّحان: 32 / 239.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 22 / 208.

عليه حصول السَّعادة، فيكون ترغيبًا بالعمل الصَّالح من أجل الحصول على السَّعادة الدَّائمة.

بيان مرجع الضمير في ﴿يَرَهُ﴾:

عبر البيان القرآني بضمير الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ العائد إلى العمل المفهوم من الفعل ﴿يَعْمَلْ﴾، وحينئذ يكون العمل بمعنى المعمول أو بمعنى الجزاء؛ إذ العمل لا يرى بل يرى ما عمله بأن كان منقوشًا كتبه في الصُّحف أو يُعرض عليه معموله مصورًا، أو يرى جزاءه - على تقدير المضاف المحذوف - . ويحتمل أيضًا أن يكون راجعًا إلى لفظ التَّمييز ﴿خَيْرًا﴾، ورؤية الخير برؤية الجزاء، فيكون ترجيحًا لرؤية جزاء الأعمال؛ لأنَّ الخير الأوَّل معمول له، والخير الثاني جزاء عليه، فالضمير وإن عاد على ﴿خَيْرًا﴾، لكن المراد به خيرُ الجزاء.

سرُّ تقديم عمل الخير على عمل الشر:

قدَّم عمل الخير على عمل الشر في مقام التفصيل للرَّائين أعمالهم الصَّادرين أشتاتًا للحساب في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ؛ للدلالة على التَّرجيب بعمل الخير، وأنه هو الأصل في التَّعامل مع المنعم الوهاب، وأن رحمته سُبْحانه سبقت غضبه، وأنَّ الخير هو الأصل في الفطرة الإنسانيَّة، وعلل الزَّمَخشرِيُّ بقوله: "يُحكى أنَّ أعرابياً آخرَ ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾، فقلَّ قَدَمَتْ وأخَّرَتْ؛ فقال:

خُذَا بَطْنَ هَرَشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ كِلَا جَانِبَيْ هَرَشَى لَهُنَّ طَرِيقٌ" (١).

قال ابن عاشور معلقًا: "وَقَدْ غَفَلَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ عَنْ بَلَاغَةِ الْآيَةِ الْمُقْتَضِيَةِ التَّنْوِيَةِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ" (٢).

نَّراءُ المَعاني
باحتمالات عَوْدِ
الضَّمير إلى
اللبَّاني

التَّرجيبُ بالخير
أَسَاسٌ في
الدَّعوة إلى الله
تعالى

(1) الزَّمَخشرِيُّ، الكُشَاف: 4/ 784 - 785.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 30/ 495.

وجه العطف (ب) (الواو):

عطف النظم الكريم الجملة الشرطية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ على الجملة الشرطية السابقة؛ ليكونا مشتركين في التفصيل للضمير المجرى في قوله: ﴿يَلْبِثُوا﴾؛ الشامل للذين يعملون الخير والذين يعملون الشر، والجامع بين المتعاطفين وهمي لعلاقة التضاد بينهما.

سر إعادة فعل أداة الشرط وفعله:

أعاد البيان القرآني أداة الشرط وفعله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ولم يكتف بالقول: (ومثقال ذرة شرًا)؛ لدلالة السابق عليه؛ وذلك "لِتَكُونَ كُلُّ جُمْلَةٍ مُسْتَقَلَّةً الدَّالَّةَ عَلَى الْمُرَادِ؛ لِتَخْتَصَّ كُلُّ جُمْلَةٍ بِغَرَضِهَا مِنَ التَّرْغِيبِ أَوِ التَّرْهِيْبِ؛ فَاهْمِيَّةٌ ذَلِكَ تَقْتَضِي التَّصْرِيحَ وَالْإِطْنَابَ"⁽¹⁾.

من جوامع الكلم القرآني:

اشتمل النظم القرآني على أعلى درجات الكلام وأروع أساليب البيان، حتى عدَّ النبي الكريم ﷺ هاتين الآيتين من جوامع الكلم، فقد وصفها بـ (الجامعة الفادة)؛ إذ قال: «لَمْ يَنْزَلْ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَادَةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽²⁾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»⁽³⁾. و"سَمَّاها جَامِعَةً لِشُمُولِهَا لِجَمِيعِ الْأَنْوَاعِ مِنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، وَسَمَّاها فَادَةً لِانْفِرَادِهَا فِي مَعْنَاهَا"⁽³⁾ "ولمَّا ذَكَرَ الْخَيْرَ؛ أَتْبَعَهُ ضِدَّهُ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ أَي: كَأَنَّا مَنْ كَانَ ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا﴾ أَي: مِنْ جِهَةِ الشَّرِّ ﴿يَرَهُ﴾ فَمَا فَوْقَهُ، فَالْمُؤْمِنُ يَرَاهُ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ لِيَشْتَدَّ فَرْحُهُ، وَالْكَافِرُ يَرَاهُ فَيَشْتَدَّ حُزْنُهُ

توضيح المجرى
بالكلام المفصل

التفصيل في
الكلام مقتضى
للإطناب دال
على الاهتمام

الجامعة الفادة
الدالة على
الحكمة الباذخة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 495 / 30.

(2) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (4963).

(3) ابن حجر، فتح الباري: 6 / 65.

وترحُّه، والذَّرَّة: النَّملة الصَّغيرة أو الهَبَاءة الَّتِي تُرى طائِرةً في الشُّعاع الدَّاخِل من الكوَّة، وقد رجع آخرها على أوَّلها بتحديث الأخبار وإظهار الأسرار⁽¹⁾.

سُرُّ تَكَرُّارِ جُمْلَةٍ: (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ):

تَكَرُّارُ الشَّرْطِ
وَالْجَوَابِ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى
الْعَدْلِ الْعُجَابِ

كَرَّرَ النَّظْمُ الكَرِيم أَغْلَبَ الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةَ السَّابِقَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى عَدَالَةِ الْمِيزَانِ وَالْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ؛ فَالْعَامِلُونَ لِلْخَيْرِ يُسَجَّلُ عَلَيْهِمْ وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا، وَكَذَلِكَ الْعَامِلُونَ لِلشَّرِّ. كَمَا دَلَّتْ ﴿وَمَنْ﴾ الثَّانِيَةُ عَلَى الْعُمُومِ الصَّادِقِ بِأَيِّ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَوْ غَيْرِهِمْ. وَاخْتِيرَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّجَدُّدِ الْإِسْتِمْرَارِيِّ، وَأَفَادَ لَفْظُ الْعَمَلِ صَدُورَهُ مِنَ الْعُقَلَاءِ الْمُكَلَّفِينَ، وَأَعْطَى التَّكْثِيرُ فِي ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ التَّنَاهِيَّ فِي الصَّغَرِ وَالْقِلَّةِ. وَأَفَادَ التَّمْيِيزُ أَيْضًا بَيَانَ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمَوْزُونِ بِالْمِثْقَالِ، بَعْدَ التَّشْوِيقِ إِلَيْهِ بِذِكْرِهِ مُبَهِّمًا ثُمَّ تَفْسِيرِهِ، لِتَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ رُؤْيَا بَصَرِيَّةً لِلْعَمَلِ أَوْ لِلْجَزَاءِ أَوْ لِلشَّرِّ الْمُجَازَى بِهِ.

بَلَاغَةُ الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ:

تَقَابُلُ الْآيَتَيْنِ
تَصْوِيرٌ لِتَشْتِثِ
الْفَرِيقَيْنِ

اشْتَمَلَتِ الْآيَتَانِ الْأَخِيرَتَانِ عَلَى الْمُقَابَلَةِ الْبَدِيعِيَّةِ⁽²⁾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾؛ إِذْ كُلُّ جُزْءٍ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ مُطَابِقٌ لِلْآخَرِ مِنْهَا، فَالَّذِي يَعْمَلُ خَيْرًا مُقَابِلُ الَّذِي يَعْمَلُ شَرًّا، وَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ الْخَيْرِ مُقَابِلَةُ لِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ الشَّرِّ، وَالرُّؤْيَا الْأُولَى مُقَابِلَةُ لِلرُّؤْيَا الثَّانِيَةِ؛ إِذِ الْأُولَى رُؤْيَا لْجَزَاءِ الْخَيْرِ وَالثَّانِيَةُ رُؤْيَا لْجَزَاءِ الشَّرِّ، وَهَذَا التَّقَابُلُ الضَّدِّيُّ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ يُصَوِّرُ صُدُورَ النَّاسِ أَشْتَاتًا مُتَفَرِّقِينَ؛ إِذِ التَّشْتُّ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالتَّبَاعُدِ بَيْنَ الْعَمَلَيْنِ وَالْجَزَاءَيْنِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22 / 208.

(2) الهريري، حقائق الروح والزيجان: 32 / 245 - 246.

❖ الفروق المُجَمَّيَّة:

المِثْقَالُ والمِقدَارُ:

المِثْقَالُ مختَصٌّ بتقديرٍ ما لَهُ ثِقْلٌ باعتبارِ كُتْلَتِهِ وَجِسْمِهِ. وأمَّا المِقدَارُ فكلُّ ما يُقدَّرُ به شيءٌ؛ سواءً أكانَ كَيْلاً أَمْ وَزْناً أَمْ عَدَداً، فالمِكيالاتُ والموزوناتُ والمعدوداتُ والمذروعاتُ كلها لها مقاديرُ معلومة، وأمَّا المِثْقَالُ فمختَصٌّ بالموزوناتِ وما لَهُ ثِقْلٌ وَجَرَمٌ.

كلُّ مِثْقَالٍ مِقدَارٌ
مِنْ غيرِ عَكْسٍ
كَلِّيٍّ

الرُّؤْيَةُ والمُشَاهَدَةُ والنَّظَرُ:

المُشَاهَدَةُ أخصُّ من الرُّؤْيَةِ؛ إذ تدلُّ على المُعَايِنَةِ والحُضُورِ عِنْدَ المُشَاهِدِ والعِلْمِ بِهِ عِلْماً تفصيلياً⁽¹⁾ حتَّى يكونَ هذا المُشَاهِدُ شَاهِداً على ما رآهُ وعَايَنَهُ ومُخْبِراً عَنْهُ بِشَكْلِ قاطِعٍ⁽²⁾، بخلافِ الرُّؤْيَةِ؛ فَإِنَّهُ قد يراهُ مِنْ بَعِيدٍ ولا يَحْصُلُ عِنْدَهُ عِلْمٌ تفصيليٌّ بِهِ، فلا تَتَأَتَّى مِنْهُ الشَّهادَةُ. وأمَّا النَّظَرُ فهو تَوَجُّهُ للرُّؤْيَةِ وقصدُ لها، وقد تَحْصُلُ الرُّؤْيَةُ والإدراكُ البصريُّ وقد لا يَتَحَقَّقانِ، وَمِنْ ثَمَّ عَبَّرَ النِّظْمُ القرآنيُّ في قولِهِ تعالى: ﴿لِيَرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ دونَ (يُشَاهِدُوا) أَوْ (يَنْظُرُوا)؛ لأنَّ الصُّدُورَ مِنَ المَحْشَرِ لرُّؤْيَةِ جِزَاءِ الأَعْمَالِ مِنَ الدَّرَجَاتِ والدَّرَكَاتِ يكونُ مَرْتَباً بالعينِ دونَ مُعَايِنَةٍ واقترابٍ تامٍّ، ولا نَظَرَ قد لا يَسْتَلِزِمُ الرُّؤْيَةَ.

كلُّ مُشَاهَدَةٍ
رُّؤْيَةٌ بلا عَكْسٍ
كَلِّيٍّ، ولا يَلِزِمُ
مِنَ النَّظَرِ الرُّؤْيَةُ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 96، 76.

(2) الرزاغب، للفردات، وابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي أحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"